نحو صياغة مشروع ديني موحد ضد التجديف والإساءة للمقدسات الدينية من خلال التواصل الاجتماعي

Towards The Formulation of a Unified Religious Project against Blasphemy and Insulting Religious Sanctities through Social Networking

*الدكتورعبدالقادر بخوش

Abstract

The enormous development in the telecommunications and media technology reduced disparities between time and space, in the age of the Internet and social networking it shaped an electronic community in the form of a real community.

So, if dialogue is a religious principle then interaction and mutual understanding between nations and peoples is considered a goal in Islam, since God's wisdom in His creation that people are different, therefore sacred texts came encourage such interaction.

Communication and interaction between peoples is an authentic human tendency, a continuous cultural movement and an effective mean of social coexistence, that strengthening the bonds of rapprochement and mutual understanding between human beings, that is why social communication is usually known as the mutual interaction between individuals, this interaction is a type of social networking through the media and various communication that develop and deepening the social connections.

*أستاذالأديان بكليةالشريعةوالدراسات الإسلامية جامعة قطر

The social networking is a double-edged sword, it is a civilized behavior when done to overcome all manifestations of hostility in attitudes and in the expression of views, and sublimation of difference, from the pitfalls of emotions and feelings of intolerance to strengthen the bonds of cooperation in all matters of benefit for humanity in both present and future, and the consolidation values of tolerance and cooperation amongst People. While it is a destructive behavior with negative effects when it is expressed to stir up racist tendencies and to promote a culture of hatred and rancor.

This research is aiming to set a strategy towards the formulation of a unified religious project against blasphemy and insulting religious sanctities through social networking.

Keywords: Religious Projects, Blasphemy, Social Networking

تمهيد :

إن التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصالات ووسائل الإعلام اختزل الفوارق بين الزمان والمكان، ففي عصر الانترنت والتواصل الاجتماعي تشكل مجتمع إلكتروني على شكل مجتمع حقيقي حيث اجتذبت شبكة التواصل الاجتماعي فايس بوك الشهيرة لوحدها أكثر من 750 مليون مستخدم متجاوزة تعداد سكان دول قارة أوروبا مجتمعة، إننا نشهد نشوء مجتمع ذي نمط جديد يتجاوز فيه الكيان القومي والنسيج المتجانس للمجتمع التقليدي.

ليس من شك أن الإنسان اجتماعي بطبعه، مجبول بفطرته على التواصل مع محيطه الإنساني والاجتماعي، والفطرة السليمة تمجُّ الانعزال التام، وتستهجنُ الانطواء. في كل مراحل التاريخ كان هناك تواصل وحوار، من أجل ذلك أخذت أساليب التواصل أنساقا وأطيافا مختلفة عبر التاريخ الإنساني.

وإذا كان الحوار مبدأ دينيا فالتواصل والتعارف بين الأمم والشعوب يعد مقصدا إلاهيا في الإسلام مادامت حكمة الله قد اقتضت اختلاف الناس ،لذلك جاءت النصوص المقدسة تعضد هذا الأمر وتدعو إليه، و ليس أدل من ذلك ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعال(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)1.
إن التواصل بين الشعوب هو نزعة إنسانية أصيلة وحركة ثقافية متواصلة ووسيلة فعّالة للتفاعل الاجتماعي الجاد، تتطلع إلى تعزيز روابط التفاهم والتقارب والتعارف بين بني البشر، لذلك يُعرف الاتصال الاجتماعي عادة بالاحتكاك المتبادل بين الأفراد بعضهم مع بعض، هذا الاحتكاك هو نوع من التعارف الاجتماعي يتم عن طريق وسائل الإعلام و الاتصال المختلفة التي تتولى تعميق الصلات الاجتماعية وتنميتها.

إن التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين فهو سلوك حضاري عندما يوظف في تجاوز جميع مظاهر العداء في المواقف وفي التعبير عن الآراء ،والتسامي بالاختلاف من مزالق الانفعالية المفعمة بمشاعر التعصب المقيت إلى تقوية وشائج التعاون في كل شأن يهم البشرية في حاضرها ومستقبلها ، وترسيخ قيم التسامح والتعاون بين الناس. وهو سلوك مدمر له آثاره السلبية عندما يكون مَعبرا لإثارة النزعات العنصرية وإشاعة ثقافة الحقد والضغينة.

ويمكن القول بأن الظاهرة الدينية تأتي في الذروة من بين موضوعات كثيرة يدور بشأنها التحاور والمناظرة في التواصل الاجتماعي ، وهي قضية محفوفة بالمخاطر إذا ساء استخدامها. يبقى المطلب ملحا في تطوير سبل التواصل والحوار بين مختلف معتنقي الديانات والحضارات من أجل تحقيق الأمن والسلام في الأرض، وهذا يتأتى بالنظر إلى تعدد الحضارات والديانات نظرة مُعمّقة وتوصيفا شاملا لإمكانات اللقاء. مُهمّة كبرى بهذا الحجم تستدعي إخضاعها لمحكّ التنظير الدّيني الهادف الذي ينأى عن الأغراض الجدلية المتشنجة أو الدعائية الإشهارية .

لذا يمكن التساؤل عن كيفية صياغة مشروع ديني مُوحد يُشجّب كل التصرفات التي تُسيء للمقدّسات الدينية مع كل التأويلات و الاختلافات الموجودة بين الأديان ،ناهيك عن الصراعات العنيفة التي اشتعلت فيما بينها عبر مراحل التاريخ والتي ، ما فتئ أعداء التواصل الدّيني استحضارها لإذكاء روح العداء والتعصب.

ليس من شأننا التّهوين من آثار هذه الصّراعات وما خلّفته من مآسي أو القفز على أحداثها الجسام، ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال التهويل من شأنها حتى تُعيقنا عن أداء مهمتنا ،وهذا الطريق محفوف بالمخاطر والصعوبات والعقبات ، وقضية إزالتها تحتاج إلى تضافر جميع الجهود لأبناء الديانات المختلفة الذين يجمعهم مصير مشترك ، و هي بمثابة معالم لخريطة الطريق نأمل أن تُعنى بالعناية والبحث من قبل علماء الأديان المختلفة لتحقيق ما نصبو إليه.

أولا / أهمية الوازع الديني :

يُـمكن أن نتساءل هنا لماذا نتـطلع إلى صياغة مشروع ديني مُوحد يُشجّب الإساءة إلى المقدسات الدينية ؟ وهل هذا يعني الاستخفاف من شأن التشريعات الدولية في هذا المجال؟ أليس للقانون الدولي آلياته التي تكون عقابا رادعا لمنتهكي حُرمات المقدّسات الدّينية ؟

لا يمكن أن نغمد القانون الدولي حقّه فيما أرسـاه من تشريعات لـحماية المقدسات الدينية ، ولكن تبقى هذه التشريعات بعيدة عمّا يتطلع إليه أهلُ الملل والنّحل، لقد انطـوت القواعدُ الـدولية على مجموعة الأحكام التي تحمي الأماكن الدينية بصفة عامة أثناء الّنزاعات الدّولية المسلـحة فضلا عن وقت السّلم، بل وتضمّن النظام،القانوني الدولي على جملة قواعد خاصة بالمسؤولية الدولية عن انتهاك قواعد الحماية الدولية لدور العبادة ولم يُـشرع قواعد خاصة بالأمـاكن الدينيـة المقدسة 2، وهـي قضـية تستحق الاستغراب والدهشة، وجديرة بالنظر والبحث.

وإن كان هناك استخفاف بدراسة الظّاهرة الدّينية من قبل القانون الدولي فـذلك مردّه إلى أنه في أعـقاب حركات الإصلاح الدينية و مالحقها من مآسي ،سادت في الدول الأوربية قناعة واعتقاد بأنّ الأديان والعقائد لا تشملها دراسة في العلاقات الدولية. بيد أن تطور العلاقـات الـدولية وصلتها بالظاهرة الدينية التي ظلّت تُلازم الإنسان كان له عظيم الأثر في صـياغة الـقواعد الـدولـية التي تـحكم تلك العلاقات ، لذا لم يكن غريبا أن ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أن لكل شخص الحق في حرية التفكير والدين وحرية التعبير عنها وحرية إقامة الشعائر3.

ولنا أن ندعو - وبإلحاح شديد - إلى ضـرورة اهـتمام القانون الدولي بالظاهرة الدينية و إصدار تشريعات دولية يتفق علها الجميع . ولكننا على يقين أن هذه التشريـعات مهما بلغ تأثيرُها لا يمكن لها أن تكون أداة ردع، مالم تستبطن الظاهرة الدينية، ناهيك عن استحضـار الـوازع الديني باعتباره صمام أمان والدرع الواقي.ولذلك ينبغي استشعار جميع رواد الاتصال الاجتماعي بأهمية الوازع الديني الذي يعصمهم من الإساءة للأديان وإشاعة ذلك بينهم.

إن كان للقانون دوره في ردع الإنسان عن اقتراف الأخطاء إلا أن للدّين هيبته وسطوته على النفوس لا تُضاهى ، فنزعة التديُّن نزعة مغروسة في أعماق النفـس البشـرية، والغـريزة الدينية مشتركة بين الأجناس البشـرية حتى أشدّها همجية وبدائية . وعلى المشرعين القانونيين عدم الاستخفاف بحقيقة الدّين وماهيته و عدم تشريع قوانين تُسـيء أكثر ممّـا تنـفع ،و المتتبع للظّاهرة الدّينية عبر التاريخ ليجدها أكثر تعقيدا وتشعبا، تتشابك فيها مفاهيم عديدة تختلف من ديـن إلى آخر، يـتعذَّر فيها حصر الدين في قالب واحد دون الإحاطة بكل الأديان ومعرفة ماهيتها وخاصيتها.

ولقد انعكست الحيرة في تعريفات الدّين على المحاولات العـديدة التي بذلت من قـبل المفكرين الغربيين

لتأسيس مفهومٍ صحيح له، محاولةً أن تراعي المقومات الأساسية المشتركة في كل الأديان وتراعي عدم الالتزام بدين معين.

وتتخذ مسألة التعريف خطورتها عندما يكون لها تأثير سلبي على إرساء قوانين دولية تحاول أن تصبغ جميع الأديان بصبغة واحدة، ومع الكمّ الهائل من الاقتراحات التي قدمت لحل مشكلة تعريف الدّين بما تتفق عليه جميع الأديان إلا أنها ما زالت بعيدة عن تحقيق المراد من إرساء إطار مشترك تجتمع حوله.

يمثل الوازع الديني بحق مستودعا للقيم الأخلاقية ، فالدّين برأي فلاسفة الأخلاق يسعى إلى إسداء خدمة نفعية لا يقدر عليه غيره، برعايته لأهم مصالح الإنسانية متمثلة في وحدة مشتركة للمنظومة الأخلاقية، يتلاقى حولها بنو البشر عبر عنها الفيلسوف كانط بالقانون الأخلاقي العالمي4.

وقد يكون كانط مُحقا فيما ذهب إليه ولكنه فيما يبدو قد قلّص دائرة وظيفة الدّين وقيّد مجال خدمته بحصره على الجانب الأخلاقي. إن ما يتطلع إليه المرء من ربّه حتى في دائرة الأخلاق نفسها لا يقتصر على أن يجعل الخير واجبا بل هو يرجو إلى جانب ذلك عونه وتوفيقه على استدامة الصلاح و الحياة الطيبة، كما أنه يشعر بحاجته إلى الله في مجالات كثيرة أخرى تضمنتها التجربة الدينية.

.

إن التّأكيد على الواجب الأخلاقي وحده قد ينفّي الشعور بالواجب نحو الله و الاستغناء عنه، فالتعاليم الأخلاقية الدينية.ترنو إلى تحقيق سعادة الإنسان بقدر ما ترنو إلى رعاية مصالح الآخرين، وهي كما يذكر الأستاذ مالك بن نبي تدفع الفرد إلى أن ينشد دائما ثواب الله قبل أن يهدف إلى تحقيق فائدة بعينها5.

وهكذا بات من اليقين استشعار الوازع الديني وإشاعته بين الناس حتى لا تُنتهك المقدسات الدينية أثناء التّواصل الاجتماعي فهي صمّام الأمان ،و شحذ الهمم لسنّ قوانين دولية تحمي المقدّسات الدينية آخذة في الاعتبار حاجة القانون الدولي لمعرفة كنه الظّاهرة الدينية وما تتضمنه من أنساق ، وأن أي قصور في فهم هذه الظاهرة يُلقي بظلاله على أعتاب العلاقات الدولية.

ثانيا/استحضار قيّم التّواصل والتّعايش المبثوثة في الكتب المقدسة :

بعد التأكيد على أهمية استشعار الوازع الديني في ردع الناس عن الإساءة للمقدسات الدينية ،على علماء الأديان أن يحتشدوا صفا واحدا لاستحضار قيّم التواصل والتعايش المبثوثة في كتبهم المقدسة وإشاعتها على نطاق واسع .

تبعا لما سبق يُمكن طرح الأسئلة الآتية،هل هناك قواعد وأسس للتعايش بين الشعوب واحترام الآخر في الكتب المقدسة؟ وكيف يمكن تفسير بعض النصوص المقدسة التي تنضح كراهية نحو الآخر؟ كيف يمكن

تفسير الأحداث التاريخية الكبرى والتي صحبتها انتهاكات مأساوية ليس بين مختلفي الأديان فحسب بل ألقت بظلالها على أبناء الدين الواحد؟.

لا يمكن لأي باحث مُحقّق أن يقفز على هذه الأحداث الخطيرة ولا أن يستهين بحجم الدّماء التي أهدرت بين أتباع الديانات المختلفة ، كما لا يمكن له أن يتجاهل فترات الإخاء والتّعايش ولعلها تكون أكثر فترة ،ولكن للأسف أن الذاّكرة التاريخية في عمومها لا يعنيها التّدوين إلا فترات الصراع والحروب.

ينبغي التذكير أن هذه المعارك والأحداث لم تقتصر على أتباع الديانات المختلفة فحسب بل كانت تُلقي بظلالها على أبناء الدّين الواحد وأحيانا على أبناء الملة الواحدة والمذهب الواحد في الدّين الواحد.وهنا نستحضر مسألة تفسير النصوص الدّينية والتي لعبت فيها الظّروف التاريخية والأطماع السياسية دورا حاسما، ولكن هل باستطاعة علماء الدّين تطهير النّصوص الدّينية مما لحقها من تفسيرات خاطئة؟ إن المتتبع للنّصوص الدّينية في مظانها ،يندهش من غزارتها واستيعابها ،إذ غطّت كلّ مظاهر احترام الآخر المخالف ، وهذه نماذج على سبيل المثال وليس الحصر،كما نقتصر على نصوص الكتاب المقدس وآيات القرآن الكريم .

1- الكتاب المقدس و قيم التواصل :

الكتاب المقدّس هو الكتاب الذي يضم بين دفتيه نصوص العهد القديم ونصوص العهد الجديد ، والكتاب له قُدسيته عند اليهود والنصارى مع الاختلاف والتفاوت بين كليهما حول عدد أسفاره ومدى قدسيتها.

في الكتاب المقدس يُمكن رصد كثير من النصوص الأخلاقية التي تعلي من شأن الآخر، في نصوص التوراة نجد ما يسمى بالوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى، وهذه الوصايا من أعظم نصوص التوراة ، سواء عند اليهود أ والمسيحيين ، ولذا نرى أن المسيحيين عندما تحدثوا عن مسألة نسخ النعمة ، وهي شريعة المسح لشريعة العهد القديم ذكروا أن من الأشياء التي مازالت باقية ومن الوصايا المهمة لا تقتل ، ونجد نصا آخر ذا أهمية في موضوع القتل ملعون من يقتل أحدا في الخفاء.

وظاهر النص يبدو أن الحديث يخص القتل المتعمد ، لكن مفسري الكتاب المقدس يرون أنه دال على من يسعى لقتل الإنسان بالوشاية والغيبة والنميمة والإساءة والسخرية، وهنا لا يتوقف الأمر عند فعل القتل ، بل يتعدى ذلك إلى مجرد السعي إليه6.

وفي تفسير بليغ للقديس كيرلس بابا الإسكندرية في الفترة من 412 إلى 444 والملقّب (بعامود الدين) لقصة السّامري الصالح التي وردت في إنجيل لوقا الإصحاح العاشر ،يتطرق إلى من هو قريب ؟ فيقول: (.. إن السيد المسيح في تعريفه لمعنى القريب لا يحصره في جنس معين، ولا يربطه بمستوى الفضائل أي مهما كان القريب شريرا ولكنه يطلقه على الطبيعة الإنسانية7).

عاش المسيح عليه السلام في المجتمع اليهودي وظلّ يُحطّم الحواجز التي يضعها الناس،ولذلك يرى القديس بولس في رسالته إلى أهل افسس في شخص المسيح أنه هو من كسّر الحواجز بين الناس ، أي العداوة8. إنّ الآباء الأولين للكنيسة والذين نهلوا من تعاليم المسيح يُشدّدون على العلاقة الوثيقة بين علاقة الإنسان بالله وحبه لله تعالى، وبين علاقته بأخيه الإنسان وحبه له،كما نجد ذلك منصوصا في الرسالة الأولى للقديس يوحنا9.

2- القرآن الكريم دستورلأخلاق التعايش:

إن القرآن هو كتاب الحوار والتعارف والاعتراف بالآخر ، آياته تدعو إلى تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وإيجاد السبل لتحقيق التعايش والسلام الأمن ، لهذا أمر الإسلام بالحوار والدعوة بالتي هي أحسن. وسلوك الأساليب الحسنة والطرق السلمية في مخاطبة الآخر، قال تعالى:(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ).10

يقرّ القرآن بالتّعددية الحضارية بل ويمارسها ،إنه يرى في تعددية الشرائع سنة من سنن الله في الكون، قال تعالى:(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) 11 .

وقال أيضا:(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)12.

ولقد أوجدت هذه النصوص تأثيرها في النفوس فبدت السماحة الإسلامية في أبهى صورها عندما دخل الإسلام الأندلس وخلصها من القيود الطبقية ،عاش الجميع من مختلفي الديانات في الأندلس في ظل الحضارة الإسلامية حياة هنيئة وطمأنينة لم يعرفوا لها مثيلا من قبل ، مما شجّع الناس على الهجرة إليها، والاستقرار فيها ، ليتمتعوا بما نعم به اليهود بصفة خاصة من حرية وثراء ، بل وليرتقوا إلى المناصب العليا في الدّولة ، والتي وصلت إلى حد الوزارة.

والكتب التي ألفها اليهود بالعبرية أو العبرية أو غيرها عن الفكر اليهودي لا تستطيع أن تنكر فضل العرب والفكر الإسلامي عليهم ، ويجدون أنفسهم مضطرين إلى الاعتراف بذلك صراحة، فهم الذين أطلقوا على فترة تربو على أكثر من قرون ثلاثة من القرن العاشر الميلادي إلى بداية القرن الثالث عشر الميلادي في الأندلس العصر الذهبي لليهود13.

كانت قرطبة كما يذكر التاريخ تعجّ بالديانات المختلفة ، يمتزج فيه رنين أجراس الكنائس بأصوات المؤذنين في المساجد، وتجاورت فيها الدّيانات واختلطت الأجناس .وللإنصاف فإن الولايات المتحدة الأمريكية ـ مع بعض الملاحظات ـ تصير بخطة ثابتة في إرساء الحرية الدينية رغم العراقيل والصّعاب، وقد مشت في

ذلك أشواطا واسعة نأمل أن تحذو حذوها البلدان الغربية جميعها.

ثالثا/تفعيل علم مقارنة الأديان وإشاعته :

لماذا الدعوة إلى إحياء علم مقارن الأديان ؟ وما هو الدور الذي يضطلع به هذا العلم في بلورة مشروع موحد للقيّم الدّينية يخضع له الجميع؟ وما علاقة علم اللاّهوت وعلم الكلام بعلم مقارنة الأديان؟

-1أهمية علم مقارنة الأديان:

لقد كان لعلم الملل والنحل، منذ ظهوره في العالم الإسلامي، دور هام في الانفتاح على الشعوب والأمم، وشكل أداة للتواصل معها على أساس من المعرفة المباشرة .فصنفت فيه مؤلفات وتخصص فيه رهطٌ من العلماء المسلمين بحثا ونقدا، مستخدمين مناهج مختلفة في تناول الأديان تنهل جميعها في فهمها و أسسها المنهجية من معين التصور القرآني حول الأديان المختلفة.

للقرآن الكريم الفضل في تأصيل النظرة العلمية لدراسة الأديان والتي تنطلق أصلا من وحدة المصدر بالنسبة للرسالات السماوية، ناهيك على ذلك فإن المقارنة تأتي نتيجة للتعدد ، وليس التعددية معترف بها عند أحد ، فلم يوجد ما يترتب عليه وهو المقارنة ،وقد حفّزت هذه النظرة العالمية للدين العقول الإسلامية للاهتمام بتاريخ الأنبياء والإسرائيليات ،إلى جانب أنها أطلقت العنان لرصد آراء الملل والنحل .

إن الباحثين المسلمين انتهوا –بتأثير مباشر من القرآن- بدراسة أديان الأمم، و التنقيب عن عقائدهم و طقوسها ، وألّفوا لهذا الغرض كتبا مختصة، وفصولا مطولة في مصنفاتهم ،فهذا كمال الدين بن يونس الشافعي يقول فيه ابن خلكان :(إن أهل الذمة من اليهود والنصارى كانوا يقرؤون عليه التوراة والإنجيل فيفسرها لهم ، وكانوا يعترفون بأنهم لا يجدون من يوضحها لهم مثله)14.يرى آدم ميتز إن من مفاخر الحضارة الإسلامية ظهور علم مقارنة الأديان وذلك بسبAdam Mez

التسامح والتعايش الذي أقرّه الإسلام مع مختلف معتنقي الديانات15 .

تفعيل علم مقارنة الأديان: - 2

حتى يؤدي هذا العلم دوره المنشود في إشاعة التعايش التسامح بين الشعوب ينبغي مراعاة ما يلي:

-احتضان علم مقارنة الأديان للحوار والجدل الديني وتبنيه:

الجدل الديني في علم مقارنة الأديان حوار قائم على معرفة الآخر وقبوله بطرق علمية ،وهو بإمكانه تبني قضايا الحوار بين الأديان ، ولا بد أن يلج هذا العلم حلبة المراجعات الدينية الكبرى ، ليس فقط استجابة لواقع اليوم ، ولكن أيضا نتيجة لما خلفته علوم اللاّهوت المسيحي أو علم الكلام الإسلامي من جدل ديني غايته التّغلب على الآخر والدفاع عن الذّات .علينا أن نستعيض بعلم مقارنة الأديان عن علم اللاهوت أو علم الكلام في أي حوار ديني جاد. ينبغي أن يأخذ علم مقارنة الأديان مكانته و استقلاله التام ، ،ويأخذ بزمام

الأمور ببعث القيم الأخلاقية المشتركة ودراسة المختلف فيه بحيث لا تكون هذه المقارنة تنازعا وتضادا بل تكون تجادلا بالتي هي أحسن،ومناقشة علمية هادئة،مع الاحترام الكامل للتميز والاختلاف بين مختلف الأديان، في سبيل بناء مجتمع بشري يسوده السلام والوئام.

حري بنا وفق هذا المنهج أن نحرص جميعا على إشاعة هذا العلم وتوسيع دائرته وإعلاء من شأنه .

-3استيعاب مقارنة الأديان وانفتاحه على المناهج الحديثة:

يحدونا الأمل بغية إحياء التراث الإسلامي لعلم الملل والنحل لا يزال مغمورا أو متجاهلا بسبب نظرة التوجس والحذر التي ينظر بها إليه من قبل لفيف من التيارات الفكرية المنغلقة في العالم الإسلامي.

إن عملية التأصيل هذه لا ينبغي أن تتم من خلال مركزية متحيزة معرفية مترديه في الانغلاق والجمود بل من خلال الانفتاح والاستيعاب الواعي لمفاهيم الآخرين .وما يعزز ذلك ما انفردت به الحضارة الإسلامية من تعايش أصحاب الملل والنحل المختلفة في كنفها. وهكذا اهتم المسلمون بدراسة مقارنة الأديان ، ولكن سرعان ما لاحت عصور الانحطاط التي لحقت المسلمين حتى اتجه كثير من الفقهاء إلى التعصب لمذاهبهم الفقهية فانحصر أو انعدم اشتغالهم بالأديان الأخرى وتعاليمها.

وليس بعيدا عن ذلك على الرّغم من تعرض علم مقارنة الأديان في الغرب لمقاومة شديدة من التيار اللاّهوتي المسيحي المتعصب ومن بعده المذهب الماركسي فقد ازدهر هذا العلم ونما نمواً واسعاً، ولاسيما منذ مطلع القرن العشرين، وخاصة منذ استخدام المنهج الفنومنولوجي كما جاء به هوسرل (Husler)والذي طبقت في علم الأديان من طرف لهمان .16(Lehmann)

بل استوعب علم مقارنة الأديان علم الفيلولوجيا والأنتوغرافيا كما استفاد من طرق الأنتروبولوجيا واستعان علماء الاديان بالعلوم الدقيقة مثل ما فعل(لويس فريه).17 (Luis. Frey)

-4مقاومة التّحيز في علم مقارنة الأديان :

إنّ علم مقارنة الأديان قد نما وازدهر منذ بدايته في الفترة الإسلامية حتى عصرنا الحالي، متطوراً وفق المعطيات العلمية المستجدة، كما أنّ هذا العلم تجاوز كثير من العقبات الإبستومولوجيا التي تتعلق أصلا بخصائص الظاهرة الدينية ، ومع أنّ علم تاريخ الأديان قد بلغ شأوا كبيراً في أخذ مكانته اللائقة به في مصاف المعارف الحديثة الخاضعة لمحك العقلانية والموضوعية، لكن مازال هذا العلم لم يتحرر من ظاهرة التحيز التي تطبع بعض الدراسات الدينية في الفكر الغربي لتصل إلى نتائج بالغة الخطورة ،

حيث غدا فيه منهج هؤلاء سمة بارزة للدراسات العلمية الجادة وما عداها ليس إلا ضروبا من الأوهام والخرافات.نأمل أن يشق هذا العلم طريقه كما فعل من قبل في خدمة الإنسانية بعيدا عن التّحيز. مع هذه الأهمية عاد هذا العلم إلى الظهور في الجامعات ولكنه في الحقيقة ظهوره في الجامعات الدينية

مُحتشم لم يأخذ بعد مكانته اللائقة، وقد سعت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر منذ نشأتها 1984م بالأخذ على عاتقها القيام بهذا الدّور حيث خصّصت قسما بأكمله لدراسة مقارنة الأديان .

ونحن إذ نُسدي شكرنا الخالص لمركز قطر للأديان على ما يبذله في تفعيل الحوار بين الأديان وقد بلغ شأوا لم يبلغه غيره ،نهيب بالمركز الموقر أن يتولى تطوير هذا العلم وترقيته وتفعيله ليأخذ مكانه في الجامعات الإسلامية خاصة لأننا على يقين أنه يعد صمّام الأمان وطوق النجاة لأي تواصل اجتماعي يخص الدين بين بني البشر.

مراجع البحث:

1 -القرآن: الحجرات: آية 13 .

-2المادة الأولى من اتفاقية لاهاي لعام 1954.

stanislaw E . NAHLIK: la protection des biens culturels .R.C.D.I.1967.Rome P 147

-3مصطفى أحمد فؤاد،الأماكن الدينية المقدسة ،في منظور القانون الدولي،مصر: الإسكندرية،منشأة المعارف،2007 م ،ص12.

-4محمد كمال إبراهيم جعفر، في الدين المقارن،القاهرة:دار الكتب الجامعية، ص65.

-Maxime Rodin sone: L Islam Politique et Croyance .paris : Librairie Ar thème Fayard.1993.pp30-31

-5مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر،د ت، ص248.

-6خالد بن محمد الشنير،حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي،مكتبة الملك فهد الوطنية،ط1،سنة 2009،ص ص37-38.

-7سمير مرقص،مفهوم الآخر في المسيحية المصرية الأرثوذكسية، مقال في كتاب جماعي سمير مرقص وآخرون ،مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية،دمشق:دار الفكر،ط1،سنة2008،ص137.

-8أفسس2/11-22.

-9يوحنا4/7-11،8-12.

-10القرآن: النحل،آية 125.

-11-القرآن:المائدة،آية 48.

-12القرآن: هود،آية 188.ف العبرية

-13شعبان محمد سلام وآخرون،الإسلام وحوار الحضارات،الرياض:مكتبة الملك عبد العزيز العامة،سنة 2004م،مج1،ص230.

نقلا عن: أوتسار يسرائيل،دائرة المعارف العبرية،ج7،ص259.

-14بن يونس هو العلامة شرف الدين أبو الفضل أحمد بن الشيخ الكبير كمال الدين موسى، ابن الشيخ رضي الدين يونس، بن محمد الإربلي، ثم الموصلي الشافعي، صاحب شرح التنبيه، مات في سنة 622هـ، أنظر الذهبي ، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج3، ص206.

أنظر : أبو حامد الغزالي، الرد الجميل على ألوهية المسيح، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي ،القاهرة: دار الهداية، ط2، سنة 1988م، ص18.

-15آدم ميتز،الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ،ترجمة عبد الهادي أبو ريدة،القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر ،سنة 1957م،ص68.

16- C.J Bleeker , Comparing the Religion-Historical And The Theological Method (NVMEN , vol xv III , Leiden. E. J . Brill 1971) PP9-29.

-17أنظر بالتفصيل:

ERIC J. SHARPE : Comparative Religion A HistorySecond edition. Ltd London 1990.